العالم الاسلامى

والمحدث المصرى

الأستاذ

محمد فؤاد عبد الباقى

ومن علماء الحديث المصريين الذين جاهدوا فى مجال تحقيق السنة النبوية وخدمتها الأستاذ محمد عبد الباقى .

هو [1] العالم الجليل الذى خدم مباحث السنة النبوية المطهرة بما لم يخدمها بمثل عمله أحد من معاصريه فيما يبدو لنا ، ولانزكى على الله أحدا ، وهو أيضاً المؤلف الجليل الذى يدين له كل معاصر مشتغل بعلوم القرآن والسنة ، حيث يسر لكل هؤلاء السبل الأمينة ليغترفوا من مفردات القرآن والسنة ونصوصها ، ما يريدون وما يحتاجون إليه عند الكتابة والتأليف بما وضعه بين أيديهم من معاجم مفصلة لآيات القرآن وكلمات السنة . وستمضى مئات السنين واسم « محمد فؤاد عبد الباقى » أمام أبصار العلماء والباحثين ، لأن كتبه لايمكن إلا أن تكون على مقربة من يمين كل باحث وكل كاتب ، يفزع إليها يستنبئها كلما خانته الذاكرة أو أعوزه الشاهد والدليل .

---

(١) هذه الترجمة بقلم كريمته الأستاذة عفاف محمد فؤاد عبد الباقى نشرت بمجلة الأزهر عدد جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

وقد يحسن أن نأخذ فكرة عاجلة عن الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ثم نستعرض جهودة ، ومؤلفاته .

ولد عليه رحمة الله فى الثامن من شهر إذار (مارس) سنة ١٨٨٢ م ، لأبوين مصريين أما الأب فمن بلدة (قمن العروس) من أعمال الواسطى بالصعيد الأوسط ، وأما الأم فمن بلدة (يرنبال) احدى بلاد بحرى الكثيرة ، وهو الابن البكر لابويه ، وقد نشأ بالقاهرة إلى أن بلغ الخامسة من عمره ، ثم سافر مع أسرته إلى السودان ، وكان والده وكيلا للادارة المالية بوزارة الحربية ، واستقرت الاسرة فى وادى حلفا ، ثم حدثت معركة (ود النجوم) ـ وود النجوم اسم قائدها السودانى الذى كان يحارب مصر وقد قتل فى المعركة ـ وقد حدث بعد هذا أن غادر عميد الأسرة المصرية وادى حلفا إلى أسوان وبقيت الأسرة هناك سنة ونصفا . ودخل ، رحمه الله فى هذه الاثناء مدرسة أسوان الابتدائية . ثم هبطت الأسرة القاهرة .

وفى القاهرة دخل محمد فؤاد عبد الباقى ـ الذى تعرفه اليوم مجامع الاستشراق فى أوربا ، وترجع إليه فيما أشكل من مسائل الدين الاسلامى ـ مدرسة عباس الابتدائية ، ثم خلفها إلى مدرسة « الأمريكان » فى حى الأزبكية . ولم ينتظم فى دراسة رسمية مألوفة ، بل أخذ يدرس دراسة حرة مضطربة حسب هوّاه ورغبته ، وبعد أن آنس من نفسه الكفاية العلمية والقدرة على التعليم قام بالتدريس فى بعض المدارس فى مصر ، وكان من زملائه فى هذا المجال المرحوم الاستاذ صادق عنبر الأديب المصرى الشهير ، والمرحوم الأستاذ عبد الله أمين اللغوى المصرى الضليع .

** الوظيفه والقراءات

ثم أعلن البنك الزراعى عن وظيفة مترجم فتقدم إليها ونجح وعين بالبنك فى ٢٠ ديسمبر ١٩٠٥ وقد عمر بهذه الوظيفة ، إذا قيست بمثيلاتها مما شغله أو شغلته من قبل ، فقد ظل بها حتى ٣ أكتوبر م ١٩٣٣ م بل لعلها كانت سببا يمتد به إلى أبعد من هذا ، فهو لم يتركها إلا عندما صفى البنك أعماله وأحيل إلى بنك التسليف عندئذ أخذ الاستاذ فؤاد مكافأته منه وترك الوظيفة ثم فتح مكتبا للنشر الاسلامى ومكث يديره زمنا طويلا ، ثم تفرغ لخدمة البحوث المتعلقة بالقرآن والسنة ووضع المعاجم المختلفة المتعلقة بها .

وفى الخمسينيات عين رحمه الله محققا ومراجعا بمجمع اللغة العربية . وقد تزوج الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فى سنة ١٩١٠ ورزقه الله ثلاثة أبناء وثلاث بنات . وأقام

مدة فى الروضة ثم انتقل منها إلى الجيزة حيث أقام فى جزء من عمارة على شاطىء النيل المبارك وظل فى هذا المكان إلى أن توفاه الله فى ٢٢ فبراير ١٩٦٨ م .

على أن المدة التى قضاها فى البنك الزراعى تعتبر فترة استقرار فى حياته هيأت له القراءة الواسعة فى الأدب الفرنسى . وخاصة فيكتور هوجو ولامارتين ، كما أقبل على أمهات الكتب فى الأدب العربى فقرأ كثيرا كما حفظ كثيرا ومن محفوظه « ديوان الحماسة » . وفى حياته رجال عمقوا أثرهم فى نفسه وهؤلاء هم (بعد والده) الشيخ مصطفى عبد الرازق وقاسم أمين والدكتور عبد الوهاب عزام والشيخ رشيد رضا ، وهذا الأخير يعتبر نقطة تحول فى حياته غيرت مجراها وأعادت تخطيطها ، لوصح هذا التعبير .

ففى سنة ١٩٢٢ تعرف إلى السيد رشيد رضا صاحب المنار وكان لقاء لم يقدر له الفراق الا بعد أربعة عشر عاما . ولم يكن فراقا بل قدرا خارجا عن اراتهما ـ فقد توفى الشيخ رضا سنة ١٩٣٦ . وكان الاستاذ أحمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله يلازم الشيخ رضا ملازمة المريد لأستاذه الشيخ ملازمة فتحت له افاقا واسعة فى علم الدين والسنة ووجهته كثيرا حتى غدا الاستاذ الشيخ فى سنيه الأخيرة يثق بعلمه ويستعين به فى كثير مما يعرض له .

** آثاره :

١ ـ وللأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى مجموعة من الكتب الجليلة النافعة التى تدور كلها حول خدمة علوم القرآن والسنة .

وأعظم كتبه التى كان يعتز بها هو كتابه « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » الذى طبع لأول مرة سنة ١٣٦٤ هـ . وهو الكتاب الذى يجمع الألفاظ القرآنية ، ويرتب موادها حسب أوائلها فثوانيها وهكذا ، ويضع الكلمة وأمامها الآية أو الآيات التى وردت فيها ، مع التنبية على المكى والمدنى من هذه الآيات التى تذكر أرقامها .

وقد وضع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى كتابه بعد أن راجع ما ألفه السابقون فى هذا

المجال ، من أمثال كتاب « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » للمستشرق الالمانى « فلوجل » وكتاب « مفتاح كنوز القرآن » ، وكتاب « فتح الرحمن » وكتاب « ترتيب زيبا » وغير ذلك .

لقد أخطأ « فلوجل » فى عشرات من الكلمات حين ردها الى مواردها فاستدركها عليه المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

٢ - وإذا كان « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » يعتمد على خدمة اللفظ القرآنى بالنص على مواطنه من كتاب الله عز وجل ، فإن الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى قد قام بترجمة كتاب آخر لخدمة القرآن الكريم وآياته ، ولكن من ناحية الموضوعات والمعانى لامن ناحية الألفاظ والكلمات ، وهذا الكتاب هو « تفصيل آيات القرآن الحكيم » الذى وضعه بالفرنسية المستشرق الفرنسى « جول لابوم » . وهذا الكتاب يعد من أسبق الكتب فى جمع وتنسيق موضوعات القرآن الكريم .

٣ - وكما خدم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى كتاب الله عز وجل بهذين المعجمين الجليلين ، خدم سنة رسول الله ﷺ بوضع معجم للحديث الشريف عنوانه « مفتاح كنوز السنة » وهو معجم مفهرس عام تفصيلى موضوع للكشف عن الاحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر المشهورين وذلك بالدلالة على موضع كل حديث فى صحيح البخارى وسنن ابن ماجة وأبى داود والترمذى والنسائى والدارمى ، ببيان رقم الباب ، فى صحيح مسلم وموطأ مالك ومسندى زيد بن على وأبى داود الطيالسى ببيان رقم الحديث ، وفى مسند ابن حنبل وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومغازى الواقدى ببيان رقم الصفحة ، وبذلك يستطيع الباحث أن يقف على الحديث الذى يطلبه بغير عناء ، ويعد هذا الكتاب أحد نفائس الكتب الاسلامية .

هذا وقد أتم الاستاذ عبد الباقى عمله فى هذا الكتاب يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣ هـ . ٢٧ يولية ١٩٣٤ م .

٤ - ثم أعقبه بكتاب آخر من عدة أجزاء بعنوان « تيسير المنفعة بكتابى مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » ويراد فى هذا الكتاب تذليل العقبات التى تعترض الطالب للمنفعة من « مفتاح كنوز السنة » بسبب اختلاف الطبعات لكتب الحديث الاصول .

وكتاب « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » كتاب ضخم جدا ، اشترك معه فى وضعه مجموعة من المستشرقين ، ولقد طبع فى هولندا . ولهذا الكتاب قصة : حدث عندما طلب الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى إلى الدكتور ونسنك تصريحا بالترجمة باعتباره مؤلف كتاب « مفتاح كنوز السنة » أن بلغ من استجابة الرجل له أنه لم يكتف بالموافقة فحسب بل أرسل إليه الفصل الأول من « المعجم المفهرس للحديث النبوى » . ولما اطلع عليه وجد به أخطاء كثيرة فضمنها كشفا أرسله إلى دكتور « ونسنك » فسر لذلك كثيرا وكتب إليه يرجوه تصحيح (بروفات) المعجم ومضى فى هذا الطريق حتى وفاته رحمه الله .

وإذا علمنا أن المعجم يقوم به أكثر من أربعين مستشرقا فى أنحاء العالم ثم يصحح عملهم مجتمعين الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى عرفنا قيمة العمل الكبير الذى قام به رحمه الله ، وقيمة الجهد الذى بذله ، ثم بعد هذا أو قبل هذا ، قيمة الكسب العلمى من وراء هذا العمل ، وقيمة الكسب القومى .

من أعماله الأخرى :

وهذا الجهد الضخم لم يستنفد طاقة المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فقد وسعت جهوده العلمية كتبا أخرى عديدة .

ـ فمن الكتب التى أخرجها كتابه « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » وهو فى ثلاثة أجزاء ، ويضم الأحاديث التى اتفق على روايتها الامام البخارى والأمام مسلم .

وهناك كتاب سابق لهذا الكتاب اسمه « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » للشيخ حبيب الشنقيطى ، ولكن الأستاذ فؤاد عبد الباقى زاد على مافى كتاب الشنقيطى خمسمائة حديث فاتت الشنقيطى ـ رحمه الله .

وللأستاذ عبد الباقى كتاب عنوانه « معجم غريب القرآن » مستخرجا من صحيح البخارى . وعنوانه واضح فى الدلالة على موضوعه ، وهو عبارة عن شرح الألفاظ الغريبة التى أوردها البخارى فى صحيحه .. والبخارى بدوره كان قد أخذ هذه الالفاظ من كتاب « مجاز القرآن الكريم لأبى عبيدة » .

كما قام الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى بشرح وفهرسة كتب « موطأ الامام مالك » و « سن ابن ماجه » ، « صحيح مسلم » كما قام بتخريج الاحاديث الواردة فى كتاب « الأدب

المفرد » للبخارى ، وتخريج الآيات والأحاديث والشواهد الشعرية الواردة فى كتاب « شواهد التوضيح والتصريح » لابن مالك ، وتخريج الأحاديث والشواهد الشعرية فى « تفسير القاسمى » .

** كتب مخطوطة :

وله من الكتب المخطوطة التى لم تنشر - والتى يحتجب باحتجابها عنا خير كثير : كتاب « قرة العينين فى أطراف الصحيحين » وهو من ألف صفحة من القطع الكبير وفيه اضطلع بتجميع ولم شتات مواضع أحاديث البخارى ، فقد كان البخارى يورد الحديث الواحد فى مواضع عدة حسب المعانى الواردة به ، حين كان « مسلم » يورد الحديث فى موضع واحد حتى ليصح أن نسمى الكتاب « أطراف البخارى » .

والكتاب الثانى « جامع مسانيد صحيح البخارى » وفيه يورد الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى النصوص المتعددة للحديث الواحد حسب مواضعها فى صحيح البخارى . كما جمع أحاديث كل صحابى على حدة مرتبا أسماء الصحابة حسب الحروف الهجائية وذلك بعد أن قسمهم إلى قسمين : الصحابة الرجال ، والصحابيات وعدتهم جميعا ستة وتسعون ومائة صحابى وهذا الكتاب فى ستة أجزاء .

ومن هنا نستطيع أن ندرك السر فى أن هذا الجهد الصابر قد استغرق ما يربو على ألف صفحة من الحجم الكبير ، ولايزال الكتاب فى حوذة أبنائه ينتظر من ينشره من الهيئات لأن تكاليف نشره ينوء بها جهد الفرد .

بل أن من كتبه ما تبنته الهيئات ثم قعدت عن نشره ألا وهو كتابه « جامع الصحيحين » ومازال هذا الكتاب قابعا فى خزانة جديدية بالجامع الأزهر .

وكان الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى يكتب أحيانا بعض المقالات فى بعض المجلات ، ولكنه فى كتابه هذا لايكاد يخرج عن مجال علوم القرآن والسنة

. ومن بين مقالات نشرها تباعا فى مجلة الأزهر « منزلة السنة فى الدين » .

والاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى كان فى مصر مرجع كل من يلم فى كتابته بأمر من أمور القرآن أو الحديث لايستثنى من هذا كبار الكتاب أو العمالقة .

ولم يضن قط على سائل علم ، وقد يحبس نفسه ويكرس وقته على سؤال سائل يوفيه درسا وتمحيصا يستند إلى الأصول الوثيقة . والمراجع العمدة في الموضوع ، وقد يكتب الصفحات ذات الهوامش حتى ليصلح السؤال أو على الأدق الأجابة عليه ـ موضوعا متكاملا فيه غناء .

وكان رحمه الله يصنع الصنيع مع كل سائل ولم لم يكن يعرفه من قبل .... إنه لايفعل هذا من أجل شخصه إنما يفعله ايمانا بحق العلم عليه فهو يعيش في ميدانه بالرأى والهداية والمشاركة فى صمت واخلاص لا يحفل بالذكر أو الاعلان .

إن كتب الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، بما وراءها من صبر طويل وجهد دؤوب وطاقة الدقة والاتقان ، وأشواق حميمة إلى الكمال الممكن ، بالاستقصاء والتجميع والتبويب والفهرسة ـ كتبه بهذا كله إضافة علمية فى ميدان الدين تحسب لمصر وعطائها للاسلام .

وحياة الرجل الخاصة تدخل فى باب الغرائب . فنحن فى مصر كنا نسميه « صائم الدهر » فقد كان يصوم العام كله لايفطر فيه إلى أول يوم من عيد الفطر وأيام عيد الأضحى وطعامه نباتى . وكان يصوم بدون سحور ، وكان محافظا فى كل شىء فزيه يتكون من « البدلة الكاملة » صيفا وشتاء لايستطيع حر الصيف أن ينحى « الكرافات » أو « الدبوس » . كما لاتستطيع مواصفات العصر أن تمس المنديل الأبيض فى جيبه أو الطربوش القانى على رأسه أو العصا الانيقة فى يده .

وكان زاهدا فى الاجتماعات . يفسر هذا وكأنه يعتذر ـ « أن هذا الأمر تقوم ـ تبعا له على الأثر ـ حقوق للناس والتزامات واجبة الرعاية والوفاء . وليس عندى وقت لهذا ولا أنا أطيق التقصير فيها لو لزمتنى » .

وبعد ، فهذه الجهود السخية العطاء ، الموصولة الدأب ، وهذه الحياة التى آضت إلى التبتل من أجل الدين فى صورة مشرقة مشرفة هى أجدى عليه وأقرب إلى الله .

هذه الشخصية الرائعة بصبرها الصابر ، وتصميمها القادر على التجويد .... شخصية لن تنسى .

عفاف محمد فؤاد عبد الباقى